

الحلقة التاسعة والخمسون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال، تكلمت الأمثال الأولى منها عن ضرورة تجنب المستهزئ وكذلك الرجل الساخط والغضوب. ثم عن الكسول والمجتهد والفرق بينهما. وختمنا بالمثل القائل: أن الذي يزرع الإثم فلا بد أن يحصد البليّة أو المصيبة.

ما هي الطريقة المثلى لتربية الأولاد؟ وما هو الأسلوب الأفضل لتثنتهم على الطريق القويم؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تبعتها عنه." (أمثال ٢٢: ١٥) أمر طبيعي أن يكون الولد جاهلاً بسبب عدم نضوجه، لذا يجب تأديبه وتقويمه. لكن السؤال هو: كيف يكون التأديب؟ وهل يكون بالعصا كما ذكر هنا الحكيم؟ هناك عدة أنواع للتأديب والعقاب. كأن نحرم الولد من أمر يحبه لفترة معينة، أو نوبّخه ونؤنبه بشدة عندما يقوم بخطأ ما، ونوضح له في نفس الوقت السلوك الصحيح الذي كان يجب أن يسلكه. وتصبح العصا ضرورية عندما يكرر الولد الخطأ نفسه، غير مبالٍ بالتحذيرات وأنواع العقاب المتنوعة. لكن علينا هنا أن ننتبه أن لا يكون الضرب مبرحاً، وفي أماكن حساسة كالوجه مثلاً. لأن الهدف من العقاب هو التأديب وليس الانتقام أو الإهانة.

ووضع سليمان الحكيم قاعدة هامة أخرى لتربية الأولاد عندما قال: "رب الولد في طريقه فمتى شاخ لا يحيد عنه." (أمثال ٢٢: ٦) أي على الوالدين أن ينميا الخصائل الحميدة التي يتحلّى بها، وأن يشجعا الموهبة التي يلاحظونها على ولدهما. إن تنمية الخصال وتشجيع المواهب التي وضعها الله في الولد، هي من الأمور الهامة في تربية الأولاد. وكما يقول المثل العربي: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. وبذلك تنمو شخصية الولد وتزدهر، ونفتح أمامه أبواب الإبداع، ونجنبه الانحراف والتشويه.

هل تحرص مستمعي أن لا تستدين المال؟ إن استدانة المال من شخص آخر ستجعلك شئت أم أبيت عبداً له. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الغني يتسلط على الفقير والمقترض عبداً للمقرض." (أمثال ٢٢: ٧) فكما يتسلط الغني على الفقير هكذا يكون

المقترض للمال عبداً للذي أقرضه. لهذا علينا أن نحاول قدر استطاعتنا أن لا نستدين من أحد، إلا من مؤسسات مصرفية معروفة. لأن ذلك سيجلب علينا الإهانة وخسارة الكثير من أموالنا ومعنوياتنا.

وكتب أيضاً الحكماء حول هذا الموضوع هذين المثلين: "لا تكن من الذين يضمنون غيرهم بصفق الكف، ولا من كافلي الديون. إن لم يكن عندك ما يفي الدين، فلماذا يصادرون فراشك الذي تنام عليه." (أمثال ٢٢: ٢٦ و ٢٧) إن الحكماء يدعوننا لكي لا نكون من أولئك الذين يضمنون ديون غيرهم. إن الذي يضمن الدين هو الشخص الوسيط، الذي يجعل نفسه بين المقرض والمقترض، لكي يجني أموالاً طائلة بغير وجه حق. ولهذا حذرنا الحكماء من أن نكون منهم. وفي نفس الوقت دعانا الحكماء لكي لا نستدين عندما يكون هناك احتمال أن نخسر حتى فراشنا الذي ننام عليه. وبعبارة أخرى يدعونا الحكماء هنا أن لا ننجرف وراء الصفقات المالية غير السليمة، وأن نبتعد قدر الإمكان عن استئانة المال، لأن ذلك سيجر المصائب على حياتنا. فهل تراك تنتبه مستمعي لهذه الأمور وتحفظ نفسك وأسرتك من الكوارث.

وعاد سليمان الحكيم ليحذر الشاب مرة أخرى من الوقوع في حبال المرأة الزانية، فكتب هذا المثل قائلاً: "فم الأجنيبات هوّة عميقة. ممقوتُ الرب يسقطُ فيها." (أمثال ٢٢: ١٤) إن المرأة الأجنبية هي المرأة الزانية، أو المرأة الغربية التي تحاول خداع الشاب. وصف سليمان الحكيم في هذا المثل فم هذه المرأة الغربية الزانية، بهوّة عميقة يسقط فيها كل من هو ممقوت من الله. وبعبارة أخرى كل من هو بعيد عن الله ولا يكثرث بشرائه. والهوة العميقة تشير إلى مدى الخراب والدمار الذي يصيب كل من يسعى إلى هذه المرأة. وكنا قد ذكرنا في لقاء سابق ما ذكره سليمان الحكيم من وصف للشباب الذي يقع في حبال شفتي المرأة الأجنبية، والتي عاقبتها مرّة كالأسفنتين حادة كسيف ذي حدين. وأن قدميها تتحدران إلى الموت، وخطواتها تتمسك بالهاوية. ودعا الشاب لكي يبتعد عن طريقها.

أما في العهد الجديد من الكتاب المقدس فقد عاد المسيح إلى جذور خطيئة الزنا، ألا وهي الشهوة. إذ وعظ قائلاً: "قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تزني. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه." (بشارة متى ٥: ٢٧ و ٢٨) إن خطيئة الزنى تبدأ بالنظرة الشريرة للمرأة، ولهذا قال المخلص المسيح، أن من نظر إلى امرأة ليشتتها، أي نظر النظرة الشريرة لها، فهو يكون قد زنى بها في قلبه. وهذه تعتبر خطيئة أمام الله. ولهذا دعانا المسيح لكي نجنب أنفسنا هذه النظرة الشريرة.

وتحدّث الرسول بولس عن خطيئة الزنا فقال: "أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد. لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً... اهربوا من الزنى. كل خطية يفعلها الانسان هي خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده." (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٦: ١٦، ١٨)

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكاننا أن نجنب أنفسنا خطيئة الشهوة وبالتالي الوقوع في خطيئة الزنا؟ لا توجد وسيلة سوى واحدة، وهي أن نتحرر أولاً من عبودية الخطية، وذلك عن طريق المخلص المسيح الذي أتى لكي يحررنا، وليهبنا الغفران والحياة المنتصرة الغالبة. إن الإيمان بالمخلص المسيح الذي أتى ومات على الصليب ليكفّر عن ذنوبنا، وقام من بين الأموات لكي يهبنا الحياة الروحية الجديدة، هو الذي يخلقنا خليفة روحية جديدة، ويجعلنا ننتصر ليس على خطيئة الشهوة فحسب بل على كل الخطايا التي تستعبد حياتنا.

مستمعي الشاب، مستمعتي الشابة، ألا تودان أن تنتصرا على كل شهوات الجسد الفاسدة؟ لم لا تأتيا بالإيمان إلى المخلص المسيح الذي وحده يقدر أن يحرركما ويجعلكما خليفة جديدة، تستطيع أن تتبعد عن كل أفعال الشر، وتسلك في طريق الصلاح والخير.